

الحلقة السابعة عشرة

كلمات الرسل الأوائل

برنامج أنوار كاشفة

أهلاً ومرحباً بك مستمعي العزيز في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. يسرنا أن نتابع تقديم هذه السلسلة وهي بعنوان: من كتابات الرسل الأوائل. لقد دوّن رسل المسيح الأوائل رسائل عديدة، شرحوا فيها الحقائق والتعاليم المسيحية، كما وضعوا لجماعة المؤمنين أسس ومبادئ السلوك المسيحي.

هل تحب النور مستمعي؟ ستجيب بالتأكيد نعم. وتساءل: من الذي لا يحب النور؟ فكلنا نحب النور ولا نرغب البقاء في الظلمة. وعندما اخترع العالم أديسون المصباح الكهربائي والآلات الكهربائية في القرن التاسع عشر أحدثت اختراعاته هذه ثورة كبرى في العالم. وننعم اليوم بفوائد الكهرباء في شتى مناحي الحياة اليومية.

وكما نعلم فإن عكس النور هو الظلمة. هل تعلم مستمعي أنه كما توجد الظلمة والنور في عالمنا الطبيعي المادي، هكذا نجد النور والظلمة في العالم الروحي. فإن كل ما هو شرير وفساد نعتبره جزءاً من عالم الظلمة، بينما الخير والصلاح هما جزء من عالم النور. هل تعلم مستمعي أن بعض الناس يحبون الاستمرار في عمل الشر؟ ويتعبون آخر أنهم يحبون البقاء في الظلمة؟ وكما هو معروف فإن الإنسان الذي يرتكب عمل الشر، يحب إخفاء أعماله عن الآخرين، ولهذا يرغب البقاء في الظلمة من الناحية الروحية.

كتب الرسول يوحنا من رسل المسيحية الأوائل عن هذا الموضوع قائلاً: «وَهَذَا هُوَ الْخَبْرُ الَّذِي سَمِعْنَاهُ مِنْهُ وَنُخْبِرُكُمْ بِهِ: إِنَّ اللَّهَ نُورٌ وَلَيْسَ فِيهِ ظِلْمَةٌ الْبَتَّةَ. إِنْ قُلْنَا: إِنْ لَنَا شَرِكَةٌ مَعَهُ وَسَلَكْنَا فِي الظُّلْمَةِ، نَكْذِبُ وَلَسْنَا نَعْمَلُ الْحَقَّ. وَلَكِنْ إِنْ سَلَكْنَا فِي النُّورِ كَمَا هُوَ فِي النُّورِ، فَلَنَا شَرِكَةٌ مَعَ بَعْضٍ، وَدَمَ يَسُوعُ الْمَسِيحِ ابْنِهِ يُطَهِّرُنَا مِنْ كُلِّ خَطِيئَةٍ. إِنْ قُلْنَا: إِنَّهُ لَيْسَ لَنَا خَطِيئَةٌ نُضِلُّ أَنْفُسَنَا وَلَيْسَ الْحَقُّ فِيْنَا. إِنْ اعْتَرَفْنَا بِخَطَايَانَا فَهُوَ أَمِينٌ وَعَادِلٌ، حَتَّى يَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَيُطَهِّرُنَا مِنْ كُلِّ إِثْمٍ. إِنْ قُلْنَا: إِنَّا لَمْ نُخْطِئْ نَجْعَلُهُ كَاذِبًا، وَكَلِمَتُهُ لَيْسَتْ فِيْنَا» (يوحنا ١: ٥-١٠). سنتأمل الآن بهذه الآيات المعيرة فابقوا معنا أعزائي.

صديقي المستمع، لقد بدأ الرسول يوحنا في هذه الآيات المقدسة التي قرأناها عليكم، بالخبر الهام الذي سمعنا من المخلص المسيح نفسه، وها هو يعلنه الآن: «إِنَّ اللَّهَ نُورٌ وَلَيْسَ فِيهِ ظِلْمَةٌ الْبَتَّةَ». فالله هو نور بالكلية، هو النور الكامل، وليس فيه أية ظلمة البتة، أي ليس فيه ظلمة بالمطلق. وتابع الرسول يوحنا قائلاً: «إِنْ قُلْنَا: إِنْ لَنَا شَرِكَةٌ مَعَهُ وَسَلَكْنَا فِي الظُّلْمَةِ، نَكْذِبُ وَلَسْنَا نَعْمَلُ الْحَقَّ».

وَلَكِنْ إِنْ سَلَكْنَا فِي النُّورِ كَمَا هُوَ فِي النُّورِ، فَلَنَا شَرِكَةٌ بَعْضِنَا مَعَ بَعْضٍ. أو بتعبير آخر لنا شركة بيننا وبين الله تعالى الذي هو النور.

أن يدّعي إنسان أن له شركة أو علاقة مع الله، لكنه يسلك، في طريق الشر، أي في طريق الظلمة، فهو يكذب أي لا يقول الحقيقة. والسبب لأن الله نور ومن غير الطبيعي أن يسلك الإنسان الذي يعرف الله في طريق الخطيئة والشر. ولكن إن سلك هذا الإنسان في النور ك الله الذي هو نور، حينئذ تكون له علاقة أو شركة روحية بينه وبين الله خالقه. ولكي يتطهر الإنسان من خطاياها، وكلنا خطاة، عليه أن يؤمن بدم يسوع المسيح الذي سَفَكَ من أجله على الصليب. إن عمل التكفير هذا هو الوحيد القادر على تطهير الإنسان من كل خطيئة.

ثم تابع الرسول يوحنا كلامه فقال: «إِنْ قُلْنَا: إِنَّهُ لَيْسَ لَنَا خَطِيئَةٌ نُضِلُّ أَنْفُسَنَا وَلَيْسَ الْحَقُّ فِيْنَا». هذه حقيقة هامة علينا جميعاً أن ندركها. أننا كبشر جميعنا خطاة ومذنبون أمام الله. ولهذا نقرأ أيضاً في كلمة الله: «الْجَمِيعُ زَاغُوا وَفَسَدُوا مَعًا. لَيْسَ مَنْ يَعْملُ صَلَاحًا لَيْسَ وَلَا وَاحِدٌ» (رومية ٣: ١٢). فإذا كانت هذه حقيقة البشر جميعاً، على كل إنسان أن يأتي إلى الله تائباً ومؤمناً بفداء المخلص المسيح لخطاياها، حينئذ يطهره الله منها ويغفر ذنوبه.

ولهذا قال الرسول يوحنا أيضاً: «إِنْ اعْتَرَفْنَا بِخَطَايَانَا فَهُوَ أَمِينٌ وَعَادِلٌ، حَتَّى يَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَيُطَهِّرَنَا مِنْ كُلِّ إِثْمٍ». هذه هي الحقيقة أنه علينا لكي نسلك في النور ونبتعد عن أعمال الشر، أن نأتي إلى الله معترفين بخطايانا. فهو الإله الأمين والعاقل حتى يغفر لنا خطايانا، ويطهرنا في نفس الوقت من كل إثم. وهكذا يطرد الله الظلمة من حياتنا، ويدخل النور إليها.

هل تعلم مستمعي على أي أساس يغفر الله خطايانا ويطهرنا من كل إثم؟ لقد أرسل الله المخلص المسيح، لكي يموت بالنيابة عنا على خشبة الصليب، آخذاً عقاب خطايانا. وهكذا عندما نؤمن بكفارة المسيح هذه، وبقيامته الطاهرة من بين الأموات يغفر الله خطايانا ويطهرنا من كل إثم. ونستطيع بالتالي السلوك في حياة النور.

وختم الرسول يوحنا كلامه مؤكداً على حقيقة هامة وهي: «إِنْ قُلْنَا: إِنَّا لَمْ نُخْطِئْ نَجْعَلُهُ كَاذِبًا، وَكَلِمَتُهُ لَيْسَتْ فِيْنَا». فمن المستحيل أن لا يُخْطِئَ الإنسان في حياته، وادعاؤه هذا يكون كأنه قد جعل الله كاذباً، وتصبح كلمته المقدسة لا أثر لها في حياته.

وكان الرسول يوحنا قد بدأ بشارته بالحديث عن المخلص المسيح قائلاً: «كَانَ النُّورُ الحَقِيقِيُّ الَّذِي يُنِيرُ كُلَّ إِنْسَانٍ آتِيًا إِلَى العَالَمِ» (بشارة يوحنا ١:٩). أجل إن المخلص المسيح كان لا بدّ له كلمة الله الأزلي أن يحمل نفس صفات الله، فهو النور الحقيقي الذي أتى إلى عالمنا المظلم. ولهذا صرّح المسيح عن نفسه قائلاً: «أنا هو نور العالم. من يتبعني فلا يمشي في الظلمة بل يكون له نور الحياة» (بشارة يوحنا ٨:١٢). إن الذي يتبع المخلص المسيح يحرره من قيود الخطيئة وهكذا لا يعود يمشي في الظلمة، أي في الخطيئة، إذ يضيء المسيح حياته من الداخل.

صديقي المستمع، ألا تود أن تسلك في النور ولا تمشي في الظلمة؟ لم لا تؤمن الآن بالمخلص المسيح الذي هو النور الحقيقي الذي أتى إلى العالم. ولا تكن كأولئك الذين قال عنهم المسيح نفسه: «وَهَذِهِ هِيَ الدَّيْنُونَةُ: إِنَّ النُّورَ قَدْ جَاءَ إِلَى العَالَمِ، وَأَحَبَّ النَّاسُ الظُّلْمَةَ أَكْثَرَ مِنَ النُّورِ، لِأَنَّ أَعْمَالَهُمْ كَانَتْ شَرِيرَةً» (بشارة يوحنا ٣:١٩).